The Eye in the poetry of Abd al-Wahhab al-Bayati: A Semantic and Symbolic study

العين في شعر عبد الوهاب البياتي: دراسة دلالية ورمزية

م. د محمد شكر محمود رحيم

Dr. Muhammad Shukr Mahmoud Rahim

تدريسي: المديرية العامة لتربية صلاح الدين

Teaching staff: General Directorate of Education of SalahalDin

الاختصاص الدقيق: أدب حديث

Specialization: Modern Literature

البريد الالكتروني: mhmdshkalahbaby@gmail.com

رقم الهاتف: 07806058478

الملخص:

يُعّد البياتي من أهم شعراء العرب في العصر الحديث ، وأكثرهم صلةً بالحياة الإنسانية ، وإن هيئة وجوده الإبداعي منذُ منتصف القرن العشرين تمثل إشارة مُميزة في مدرسة الشعر الحر أو شعر التفعيلة ، لما حملته نصوصه الشعرية من توظيف الرموز الأسطورية والتاريخية والدينية والحداثة ، واستطاع بإبداعه الفني واللغوي أن يجعل تجربته الذاتية إلى رؤية عالمية خلاقة ، حيث تميز البياتي بقدر واسع من الشعور الوطني ، ورفض التسلط والطغيان من الجانبين الإجتماعي والسياسي ، وهذا ما نجده في جميع أعماله ، فهو شاعر ينوء بحمل هموم المواطن العربي بكل تقلباته وإنكساراته ، والشاعر أستخدم الرمز كثيراً حتى أصبح الرمز سمة من سمات شعره ، فهذه الرموز تلتقي وتمتزج مع تجربة الشاعر الشخصية ومع إدراكه للوجود ، فقد جاء رمز العين في طليعة الرموز التي استعملها الشاعر ، كونه رافداً معنوياً غنياً تتنوع أستخداماته في بناء النص والدلالة ، إذ العين عند البياتي لم تكن العين الباصرة فقط ، إنّما هي وسيلة للوضوح وتحديد الرؤية ، وإلى صورة تعكس الوعي والغربة والشكوى ، وتكون العين في كثير من المواضع رمزاً للرصد والمراقبة والظلم والاستبداد ، وإلى جانب هذا التنوع الرمزي ، تمنح العين في شعر البياتي طاقة إيحائية واسعة ، فهي قد تعبر عن الأمل والانبعاث حيناً ، وعن الخيبة والخراب والانتظار حيناً آخر ، مما يجعلها أكثر الرموز ارتباطاً برؤيته الشعرية .

كلمات مفتاحية: العين الرمز، الدلالة، الاغتراب

Abstract:
Al-Bayati is considered one of the most important Arab poets of the modern era, and one of the most connected to human life. His creative presence since the mid0th century is a distinctive feature of the free verse movement, or syllabic verse, due to the use of mythological, historical, religious, and modernist symbols in his poetry. Through his artistic and linguistic creativity, he was able to transform his personal experience into a creative, universal vision. Al-Bayati was distinguished by a profound sense of patriotism and a rejection of social and political oppression and tyranny, which is evident in all his works. He is a poet burdened by the concerns of the Arab citizen in all his vicissitudes and defeats. The poet frequently employed symbolism, to the point that it became a defining characteristic of his poetry. These symbols converge and blend with the poet's personal experience and his understanding of existence. The symbol of the eye is among the foremost symbols he used, as it is a rich symbolic resource with diverse applications in constructing the text and its meaning. For Al-Bayati, the eye is not merely the physical organ of sight, but a means of clarity and defining vision, and an image reflecting awareness, alienation, and lament. In many instances, the eye symbolizes observation, surveillance, injustice, and tyranny. Beyond this symbolic diversity, the eye in al-Bayati's poetry possesses a broad evocative power; it can express hope and rebirth at times, and despair, ruin, and waiting at others, making it one of the symbols most closely associated with his poetic vision.
Keywords: eye, symbol, meaning, alienation

المقدمة:

تُعدّ الصورة الفنية من أهم تجارب الشاعر في العصر الحديث ، بل هي جوهر تجربته الشعرية ، ووسيلة الشاعر للتعبير عن مشاعره وأفكاره العميقة ، إذ توفر له فرصة لتجسيد ما لا يمكن التعبير عنه بالكلمات المباشرة ، والخروج عن المألوف عبر المزج بين الألفاظ المتنافرة لتشكل صورة جديدة ومبتكرة ، والتي تحقق المتعة والتأثير في المتلقي وتمنح النص قيمة وجمالاً ، إذ تُعد الصورة أداة مهمة للحداثة في سُبل عرض الشعر ، وهي مؤشر واضح على صنع ابداع شعري يساهم في أبتكار تجربة جمالية ممتعة للمتلقي من خلال نقل الأفكار بوضوح أوسع ، فالصورة عند البياتي تصنع المشاعر الجياشة بطريقة مبهرة ، فـ(العين) من الرموز التي نجدها في شعر البياتي لتدل على دلالات الغربة والشكوى والحنين وإدراك الذات والمجتمع ، وتترك أثراً في وجدان القارىء

، والصورة الشعرية معياراً أساسياً للحكم على أصالة التجربة الشعرية وقدرة الشاعر على التأثير ، فهي عنصراً أساسياً في تقييم جودة الشعر وأصالته، إذ لا يستقيم الشعر إلا بها.

سبب أختيار الموضوع:

من خلال القراءة والاطلاع على الأعمال الشعرية الكاملة، ج2، للشاعر عبد الوهاب البياتي، قد تبين أن الشاعر أستخدم لفظة العين في نصوصه، وبعد الرصد وأحصاء هذه الظاهرة وجدتها تستحق الدراسة والبحث العميق، ودراسة تطور القصيدة وصعوبات العمل الفني، وما طرأ على بناء ونسيج شعر البياتي من خلال تتبع يتماشى مع حركة الوعي وتطورات الاحداث والمؤثرات والمتغيرات الاجتماعية والفكرية والسياسية.

حدود البحث: الأعمال الشعرية الكاملة، /ج2، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 1995م، ولم نتناول حياة الشاعر كون حياته معادة كثيراً.

منهج البحث:

قامت هذه الدراسة بالإعتماد على المنهج الدلالي والرمزي، فالأول يقوم على دراسة المعنى في نصوص الشاعر، وكيف نفهمه من خلال المفردات والسياق والكشف عن المعنى، أما المنهج (الرمزي) يقوم على دراسة الرموز والإشارات التي يوظفها الشاعر، إذ يمكن أن نكشف فضاءاً واسعاً متوارى خلف المعنى الظاهر، وبيان الرؤية الفلسفية للبياتي، ثم نقوم بربط المعاني والرموز للوصول إلى التفسير النهائي للنص.

المشكلة:

كيف تتجلى دلالة العين في شعر البياتي (الأعمال الشعرية الكاملة/2) وما الأبعاد الرمزية والفكرية التي اكتسبها عبر تجربته الشعرية.

أهداف البحث:

1-الكشف عن البعد المباشر والرمزي للعين في شعر البياتي.

2-بيان العلاقة بين الرؤية البصرية والرؤية الفكرية في تجربته الشعرية وتطور الرمز وعلاقته بالوطن والمنفى.

المبحث الأول: دلالة العين في الشعر العربي

تُعدّ العين من أبرز الرموز تفاعلاً في الشعر العربي، لما تحمله هذه اللفظة من غنى في الدلالة تعطي كثير من معاني حسية إلى رموز نفسية واجتماعية وتاريخية، إذ أسند العرب للعين منزلة كبيرة في أدبهم وشعرهم ولغتهم بصورة عامة، فتارة تكون رمزاً للجمال والرقابة والقوة والاستعداد، وتارة تكون للشرّ والحسد، وتستخدم العين بمعان مختلفة :(النظر، النبع عين الماء، الغالي من المال، الذات، المراقب، المخبر، العميل)، وهذا الأثراء الدلالي يسر للشعراء والكتاب من توظيف رمز العين بسهولة عالية.

العين بوصفها رمزاً للرؤية والبصيرة:

عند دراسة شعر البياتي نلاحظ التركيز على الحداثة الشعرية وأنتقاله من الرومانسية إلى السياسة ، وتوظيفه للتراث ، واستخدامه للرمز والتهكم في التصدي للقضايا الوطنية ، فالرمز عند البياتي هو ربط الطبيعي بين الدال بالمدلول وتوضيح العلاقة بين الرمز والفكرة التي يرمز إليها[1]، حيث أمتاز البياتي بلغته الخاصة لتكون متزامنة مع التطور الجديد ، كما وظف كثير من الاساليب البلاغية منها الاستعارة والمجاز والصور الفنية والحسية ، فالعين رمز للرؤية والبصيرة ، التي يعبر عن معاناة واقعية قد عاشها الشاعر ، ومحاولته الربط بين التجربة الذاتية وبين واقع البلاد، إذ يطالعنا البياتي في قصيدته (قصائد في حب عشتار) حيث يقول[2]

ورأى الله بعينيهِ ، ولم يملك على الرؤيا دليل

فأنا في النوم واليقضة من هذا وذاك

هذا المقطع يأتي في سياق رؤية صوفية يكثر فيه توظيف العين بوصفها نافذة للمعرفة والكشف ، وهنا ليس المقصود الرؤية الحسية ، لأنها مستحيلة في معتقدنا الديني ، إنما يريد البياتي التعبير عن رؤية روحية ، وان هذه الرؤية ليست برهاناً عقلياً ، ولا مدعومة بالدليل المنطقي أو الحسي ، بل هي تجربة وجدانية خاصة ، تحدث للشاعر وحده ، فالعين هنا رمز للبصيرة والرؤيا ورمز للمعرفة الحدسية ، حيث يبلغ البياتي إلى مدى يشعر معه برؤية الحق بعين قلبه .

يبدو أن البياتي يحاول رسم صورة واقعية للمدينة بمشاعر حزينة وصادقة ، فالصدق مع النفس ليس الطّريق للابداع فقط ، ولكن لوصول هذا النوع من الأدب إلى العالمية [3] .

إذ يجمع البياتي صورة مكثفة تجمع بين الرمز السياسي والبعد الوجداني ، ففي قصيدة (المدينة) يوظف البياتي فيها العين التي تكشف الحقيقة ، حيث يقول:[4].

وعندما تعرّت المدينة

رأيت في عيونها الحزينة

مباذلَ الساسة واللصوص والبيادق

رأيت في عيونها المشانق

رأيت في عيونها الانسان

---

[1] - ينظر، لعبة الترميز دراسات في الرموز واللغة والأسطورة ، د. عبد الهادي عبد الرحمن ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، ط/1 ، 2008م ، ص15 .

[2] - الأعمال الشعرية الكاملة، عبد الوهاب البياتي ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، 1995م ، ص 196.

[3] - ينظر ، دراسات في الأدب العربي الحديث ، عبده بدوي ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط/1 ، 1987م ، ص198 .

[4] - المصدر نفسه ، ص 103 .

يُلصق مثل طابع البريد

في أيما شيء

رأيت في عيونها الطفولة اليتيمة

ضائعة تبحث في المزابل

البياتي يتعامل مع المدينة كانها كائن حي يمتلك عيوناً وحزناً ، فالعين هنا تحمل معنى المرآة التي تعكس معاناة الناس ، فالشاعر يعرف حزن المدينة بسبب أنحدار أخلاق السياسين وولاة الأمر، وتفشي الفساد واللصوصية وسيطرة البيادق ، أي الاشخاص التابعين الذين تكن أدوات تحركهم أيادي خفية أكبر منهم وتسيطر عليهم ، فالعين في هذا المقطع رمزاً كشف للحقيقة وللوجدان الجمعي ، وعيون المدينة تمثل وجوه أهلها ، وكذلك تشير إلى الألم الذي تعانيه الشعوب ، فالبياتي يُصور المدينة كأنثى حزينة تنكشف حقيقتها أمامهُ ، والشاعر لم يفصل بينه وبين المجتمع فخصوصياته تندرج ضمن وطنيته التي تشكل قضيته الأولى [1] ، وفي نهاية النص يصور البياتي المدينة ويرى في عينها طفولة يتيمة عليها ملامح الحرمان المتأصل منذ القدم ، فالعيون تحمل صورة الطفولة المنفية في وطنها والباحثة في المزابل ، وهي رمز للواقع المهان ، إذ تمثل صورة الفقر والبؤس وحالة الضياع والاغتراب الروحي.

وفي السياق ذاته تظهر العين محوراً دلالياً يحمل بدء الوعي والمواجهة مع مشهدٍ صادم ، حيث يقول في قصيدة (العنقاء)[2]

عندما فتحتُ عيني ، كانت الغمامة

تغمر وجه الميّتِ العائد بالتقبيل

تمسحُ بالمنديل

دموعهُ ، وطائرٌ مغردٌ مجهول

الصورة التي يحاول الشاعر أبرازها هي الغموض وما يفصل بين الأحياء والأموات ، وصورة الميت الذي يعود بالتقبيل ماهي إلا صورة فنية لما يتركه الموتى من حنين يتحول إلى قداسة الموت والغياب ، فالبكاء في المقطع هو بكاء وجود مثقل بالذكريات من ماضٍ لن يعود ، وما الطائر المغرد سوى روح تتوق للحرية ، فالعين هنا رمزاً للادراك والرؤية والبصيرة ونافذة للعبور بين الموت والحياة ، وهذه الصور الجزئية المتتابعة في النص تكون الصورة الكلية التي أراد البياتي إيصالها للمتلقي .

---

[1] - ينظر ، الالتزام والتصوف في شعر عبد الوهاب البياتي ، عزيز السيد جاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1990م ، ص75

[2] - المصدر نفسه ، ص 130 .

نجد في شعر البياتي القيمة التعبيرية تنطوي على مستوى إيحائي موازية في صنع فضاء خاص للمتلقي ، ويتحدد بالانصراف إلى الكشف عن مشاهد بصرية تعطي للعين مهمة التأويل([1]) كما في قصيدة :(ولكن الأرض تدور) ([2])

ونحن في الحرب لكم أجناد

موت من أجل عيون قطط الأمير

تتوافر قصيدة البياتي (ولكن الأرض تدور) على جماليات وإمكانات نصيّة مهمة ، يستوجب المعاينة الدقيقة لكشف جماليات النص ، بنبرة ساخرة وانتقاد لاذع ، وهنا(عيون قطط الأمير) صورة رمزية تهدف إلى تعرية الواقع السياسي ، والعيون في النص ليست عيوناً حقيقية بالمعنى الحسي ، بل تحمل حزمة رمزية ، فالعيون رمز للعناية والحماية ، فالشاعر يشير إلى أن الجنود يُدفعون للموت لأجل شيء تافهة ، والجنود هو الشعب المقهور ، وعيون القطط أسباب رخيصة وعبث سياسي.

بعد أن كانت بداية القصيدة تحمل قضيةً فردٍ ، وتجربة شخص ، تنتهي بقضية جيل وتجربة شعب ، لأنها اكتسبت دلالات جديدة حيث يقول البياتي :([3])

لون عينيك وميض البرق في أسوار بابل

ومرايا ومشاعل

لون عينيك سهوب حطمت فيها جيوش الفقراء

عندما يشرع البياتي في هذ النص لا يقصد الرؤية البصرية فقط ، بل يقصد إدراكاً أعمق للعالم ، فالعين عنده رمزاً مركباً ، يتجاوز الدلالة الحسية إلى فضاء تاريخي وأسطوري واجتماعي وسياسي ، فالعين عنده نافذة للرؤية والكشف ، فهو يشبة العين بالبرق الذي يضيء الظلام ، والعين ترمز إلى الهوية التاريخية للبلاد عبر حضارات بابل وآشور ، فهي تشكل قوة روحية موغلة في القدم ، فهي عين تحمل برق الحضارات وفي الوقت نفسه غبار الهزائم .

وفي السياق نفسه نجد البياتي في قصيدة (الزلزال) يقول:([4]) .

تُشرق شمسّ الله في عينيكِ إذ تغربُ في القوراب

الصيد على شواطىء المغرب

فوق المدن المفتوحة، المقطوعة الأثداء، حيث

---

[1] - انظر ، المتخيل الشعري أساليب التشكيل ودلالة الرؤية في الشعر العراقي الحديث ، د. محمد صابر عبيد ، منشورات الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق ، بغداد ، ط/1 ، 2000م ، ص107 .

[2] - المصدر السابق ، ص40

[3] - الأعمال الشعرية الكاملة ، عبد الوهاب البياتي ، ص197.

[4] -المصدر نفسه ، ص 334 .

القمر الوليُّ في عيون قارعي طبول الملك الأخير

تظهر العيون في النص على مستوين متعارضين (الأول) عينا المخاطبة وهنا نافذة الحقيقة واليقظة ، حيث تكون البصيرة أقوى من الطبيعة ، و(الثاني)(عيون قارعي الطبول الملك الأخير) عيون خافتة ومرتبكة تعيش على ضوء يحتضر متلاشي خافت ، وهي رمز للسلطة المنهارة ، لذا تصبح العين رمزاً للرؤية الكاشفة لحاضر ينتهي وآخر يولد ، فالغاية الفنية عند الشاعر من أستلهام الرمز للتعبير عن موقف إنساني متشابة يعكس تجربته مع تجارب غيره ([1]).

ويقول في قصيدة :(حجر السقوط) ([2])

كنتِ وما زلتِ طعاماً فاسداً

كيساً من اللحم وعينين بلا أجفان

تفاحةً معطوبة تهشها الديدان

يأتي هذا النص في سياق يفيض بالدلالات الرمزية ، حيث يقدم البياتي رؤيته الخاصة في لغة قاسية جداً ، لتعرية المخاطبة من أي قيمة جمالية أو معنوية ، فيعرضها في صورة جسد بلا روح وخالية من المعنى مجردة من أي جمال ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك هو نزع الأنسانية والتجرد منها ، حيث استخدم البياتي أسلوب التشبية فحولها إلى كيس لحم فاسد تشمئز النفوس منه ، إما الرمز في (عينين بلا أجفان) فكانت صورة مرعبة ومعبرة للغاية ، فهذه العيون تبقى مفتوحة لا تغمض بصورة دائمة ، فكانت الدلالة الرمزية انعدام الحسّ والشعور فهي مفتوحة لكنها لا ترى خالية من الأنسانية ، فالعين في هذا المطقع مجرد جسد لا نافذة روح ، مما يتوافق مع (كيس من اللحم) ، فهي عيون ليست أداة للرؤية بل جامدة متحجرة بخلوها من الحياة ومنزوعة الأجفان خالية من الصفاء والنقاء والحياة .

المبحث الثاني: العين رمزاً للمنفى والحنين

تبدو العين من أكثر الرموز كثافة وحركية، وقد جاءت بمعاني ودلالات مختلفة: المنفى، الرؤية ، الذاكرة ، الغربة ، ومن بين هذه الدلالات رمز العين بوصفها أداة لمخبري السلطة والاجهزة الأمنية والجاسوسية التي لا تنام ، وقد برز معناها نتيجة متابعة الشعراء والأدباء ، والبياتي واحد من الشعراء الذين تناولوا هذا الرمز ، بسبب نشاطه

[1] - ينظر القناع في الشعر العربي المعاصر ، د. رعد أحمد علي ، دار ينبيع ، دمشق ، ط/1 ، 2008م ، ص150 .

[2] - المسدر نفسه ، ص 215 .

السياسي والأدبي المعارض للسلطة سارعت إلى التضييق عليه ونفيه خارج البلاد ، لأنه لم يكن راضياً عنها ، وبالتالي دفع ثمناً غالياً في الاغتراب والنفي [1]. يصور البياتي تجربته في المنفى حيث يقول [2]

هل عُدتَ من المنفى إلى سلطانة العشق على سحابة خضراء؟

هل رأيت في عيونها الحريم والأقمار

نجمُ القطب لايبوح بالسرِ

سأبكي عندما تفتح لي بوابة الحديقة: الوصيفةُ زيتية

العينين، وهي تفرش السجادة الحمراء تحت قدمي،

هذا النص يلخص ثيمة البياتي المركزية في المنفى ، فالنص يمثل أيقونة الاغتراب للشاعر ، كما يمثل قمة الضياع والبحث المستمر عن الوطن المفقود ، وهو يعيش الغربة المكانية والروحية ، والبياتي يوظف أسلوبي الاستفهام والتوكيد في النص ، فالشاعر لا يريد أجابة عن سؤاله، بل يريد أن يستشعر أمكانية العودة من المنفى (الاغتراب ، عدم الاستقرار ، والتلاشي الروحي) ، وسلطانة العشق هي :(المرأة ، البلاد ، المعشوقة ، المدن الأسطورية) ، فالبياتي يجعل المرأة عالم آخر ، وبكاء الشاعر هو تفريغ الشحنات العاطفية ، أما رمز العيون هو مدخل إلى عوالم المرأة ورمز للرؤية الجديدة ، وقد تكون العين رمزاً للوطن ، ويأتي رمز المنفى بقوله(هل عدت) أي أن الشاعر كان بعيداً في مكان الألم والحزن والبحث ، فالعين كانت عند البياتي مدخل إلى عالم آخر يتمناه ويستعيد فيه كل ما يتمناه .

حيث تتشابك الصور الدلالية لهذا المنفى، بحيث تتجاوز دلالات العين والمنفى والوطن والربيع بقوله [3].

بخضرة الربيع في عينيك بالمخاض

الوطن – المنفى من الأعماق

انتظرتك عشرين عاماً في المنفى دون جدوى

حتى وجدتك في الوطن

والنص يقدم صورة صادقة غاية في الحزن، فالشاعر يرى خلاصه في بقاء الوطن لا في نجاته ، والعين عند البياتي تتحول إلى نافذةٍ على الجمال والنماء والسكينة ، والمخاض لفظة توحي بآلام الولادة والتحول الجديد بهوية جديدة ، فالشاعر عاش فترة طويلة في الانتظار مهاجراً ومنفياً خارج بلاده ، والعين هنا ليست عضواً بصرياً فقط

---

[1] - انظر ، تجليات القناع الصوفي في الشعر العربي المعاصر بين الفكر والفن ، فؤاد أبو زكي ، بيسان للنشر والتوزيع والأعلام ، ط1 ، لبنان ،2013 ، ص84 .

[2] - المصدر السابق ، ص354 .

[3] -المصدر نفسه ، 308 .

، بل مرآة رمزية للحلم والنبعاث الجديد ، لذا يحاول الشاعر أن يزرع الأمل بعد اليأس وتجدد الروح بعد النضوب والرؤية والعودة بمشاعر مفعمة بالأمل بعد الرجوع إلى الوطن .

وفي الإطار نفسه نرى ذلك في قصيدة (هكذا قال زرادشت):([1])

تقتفي خطوك من منفى إلى منفى عيون المخبرين

فمتى يهبط (زارا) وبناديك كما ناداه أطفال المجوس

تتجانس في النص الإحالة الفلسفية مع الرمز الشعري ، فيصبح وجود العين طريقاً للوصول إلى المعنى العميق الذي يقدمه البياتي ، فالشاعر مطارد خطوة بخطوة من قبل المخبرين الذين يمثلون السلطات ، فلا يجد مكان بعيد عن رقابة تلك العيون ، وفي البيت الثاني يستفهم البياتي ب(متى) وهو أسم استفهام يُسأل به عن الزمان حول متى الخلاص، إذ يتمنى ظهور الرؤية الجديدة التي تُحرره من الرقابة والاستعباد ، ويستدعي البياتي حكمة تاريخية للمجوس تحمل رمز الحكمة الفارسية القديمة ، والأطفال يرمزون إلى البراءة ، والعيون تتحول إلى رمز للرقابة الأمنية ورمز لانتهاك الحرية ورمز للخوف ورمز للمنفى والحنين في بلد لايمكنه التمتع فيه بكامل فيه حريته ، فالعيون لا تظهر لكنها حاضرة تراقب من بعيد ، وهذا يجعل الرمز أكثر قسوة وإرهاباً ، والسؤال متى يظهر المخلص الذي يبدد الخوف بعيون التطور والمعرفة التي تأخذ بيد الشعوب نحو الحرية والازدهار ، فالبياتي يؤمن أيماناً راسخاً بالحرية التي تشكل حجر الأساس لكرامة الأنسان ، فكثير من الشعوب العربية تسلط عليها حكام رجعيون مستبدين بافكارهم الخاصة فقط .

أن المتتبع لحياة البياتي يجده دائم التنقل وعدم الاستقرار في عواصم العالم ، حتى سمية بشاعر المنافي ، حيث عاش في موسكو وعمل فيها ، ثم أقام في إسبانيا مدة تزيد على العشر سنوات ، وعاش في القاهر وبيروت ، وفي نهاية حياته توفي في دمشق عام 1999م ([2]) .

وفي السياق ذاته يقول البياتي في قصيدته: (إلى هند)([3]).

عيناك (مدريدُ) التي استعدتها

عيناك (قندهار)

بصيرتان عبر غابات النخيل وسهوب النار

عيناك (أصفهان)

أوى إلى أبراجها الحمام

عيناك (بغدادُ) التي أفتقدها في الصحو والأحلام

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 205

[2] -انظر ، ينابيع الشمس السيرة الشعرية ، عبد الوهاب البياتي ، دار فرقد ، سورية ، ط1 ، 1999م ، ص62 .

[3] - المصدر نفسه ، ص55-56 .

يقدم البياتي في هذا المقطع الغني بالرموز والدلالات التي تحيل إلى خبرة إنسانية تتجاوز حدود المباشرة ، فالنص يتحرك بين ظاهر لغوي وباطنٍ دلالي ، يتطلب قراءة تأويلية تكشف عمق الإيحاءات التي اعتمدها الشاعر ، ومن هنا تأتي أهمية الرمز في النص ، فالشاعر يقدم العين بوصفها مركز الذاكرة والحنين ، ونافذة يرى منها العالم ، اعتمد الشاعر على أسلوب التسمية المكانية (مدريد ، قندهار ، أصفهان ، بغداد) هي ليست مجرد مدن ، بل هي محطات وجدانية ورمزية تتداخل جميعاً في عيني الشاعر ، مما يجعل من العين وسيلة للعودة إلى زمن أو هوية أو ذاكرة كانت غائبة ، هنا (مدريد) رمز للمدينة الحديثة ، وقندهار رمزاً للحروب والاضطراب ، فالعين عند البياتي تحمل ازدواجية السلم والحرب ، كما تحمل هذه العين صور الاغتراب والمنفى والتحول وعدم الاستقرار ، فالعيون في المقطع ليست مجرد صفة جمال ، بل رمز مركزي يحمل وظائف عدّة ، ولأن الشاعر يعيش حالة المنفى تتحول العين إلى مكان يلجأ إليه ، ويستعيد جغرافيته الضائعة ، لذا جاءت العين عند البياتي رمزاً للمنفى وللهوية ، والجمع بين التضاد الماضي والحاضر والحرب والسلام والفقد والاستعادة .

وفي السياق ذاته نجد صور العين المتعدد لتكون رمز المنفى والترحال عند الشاعر، فترسم الصورة الفنية الكلية التي يوظفها البياتي في صنع رمز العين والمنفى إذ يقول ([1]).

رسمتُ عينيك على وسادة الاسكندر الكبير

وجهك أوربا وعيناك ضياء الفجر في كشمير

رآك بيكاسو تعودين من البحر على ظهر جواد الريح

فاغتصبت ألوانه عينيك بالأزرق والوردي

تحت قبة السماء في أيلول

في النص تقوم العين بوظيفة رمزية مركبة تتجاوز حدود الوصف الجسدي إلى تمثيل المركز الجمالي والروحي ، فالعين محور تتقاطع عنده الحضارات والأساطير والخيال الفني ، لذا جاءت العين رمزاً لسلطة جمالية تتجاوز الزمن ، فوسادة الإسكندر رمز للانتصار والهيمنة ، فجاءت العين رمز أسطورة الإسكندر وامتداد لبطولاته أو بديلاً عنها ، وقد تكون العين رمزاً للمنفى والجغرافية التي تمتد لرحيل لا يتوقف ، وهي طاقة كونية ليست جزاء من الملامح بل نافذة تفيض بالعالم وتعيد انتاجه ، فالعين تشكل رموزاً منها: المنفى والجمال والضوء والخيال .

ومع تخطي رمز العين في شعر البياتي حدود البصر والرؤية إلى آفاق رمزية أوسع ، تشمل الجمال والحب والحزن والسحر والحسد والغموض والصدق والشفافية والمراقبة ، حيث نجد في المقطع الشعري التواصل بين العين والعالم في رسم صور تفصيلية مختلفة وهي عيون الجواسيس التي تراقب كل من يسعى للحرية ، فيكون المنفى الطريق الوحيد للخلاص من (كلاب صيد الملك) ، كما في المقطع الآتي:([2]).

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 321 .

[2] - المصدر نفسه ، ص 330 .

سيدتي ، كلاب صيد الملك – الأمير . كانوا

يكتبون الشعر عن عينك والثورة من خلف

متاريس الأمير – الورق العتيق من الخلف

متاريس سفارات ملوك البدو والبترول

النص يتحرك في فضاء سياسي – رمزي شديد التوتر ، تتقاطع فيه سلطة (الملك / الأمير) مع أدواتها (كلاب الصيد) في مقابل (العينين) التي ترمز إلى الجمال والحرية والحقيقة والرؤية البديلة ، فالبياتي يشير إلى التبعية المطلقة للمثقفين والشعراء الذين يرتبطون بالسلطة ، وينفذون أوامرها ، فجاءت العين تحمل رمزاً مركزياً ثابتاً في الخطاب الشعري ، لكنها اتخذت معناً مضاداً للسلطة ، فالعين تمثل رمزاً للحقيقة ومنفذاً للرؤية الصادقة ، كما هي رمزٌ للثورة ، فكلاهما يمثلان مستوى واحد في الاشراق والقوة ، فالشعراء الذين يتملقون للسلطة يقومون بتزيين صورة الحاكم ، حيث تُحوّل الثقافة إلى أداة تبرير وتمجيد ، وهكذا يصبح المجال الثقافي مسرحاً للصراع بين شعراء السلطة وشعراء الموقف الوطني ، الأولى تُكرم وتشيع ، والثانية تطارد وتنفى خارج البلاد ، فينحسر دور المثقفين وتتلاشى الحريات فتضعف ، لكن يبقى نتاجهم الأدبي في الذاكرة العامة ، لأنه يعبر عن معاناتهم وتطلعاتهم نحو حياة أفضل .

وفي مقطع آخر يؤسس البياتي لصورة بطولية للمواطن الكريم الذي يحافظ على كرامته في لحظة الموت ، وهو ينظر إلى السماء ورأسه مرفوع كما في قصيدة (العودة إلى بابل)[1]

معجزة الإنسان أن يموت واقفاً ، وعيناه إلى النجوم

وأنفه مرفوع

جاء الرمز في هذا النص أن العين ليست مجرد للبصر ، وإنما هي رمز رؤية الفجر الجديد والأمل المنشود ، والعين المفتوحة التي تنظر إلى النجوم وقت الموت تدل على رمزية الرفض والتحدي والعنفوان ، فالصورة الفنية التي تظهر العين شاخصة إلى الأفق الواسع والفضاء الممتد نحو الأعلى ، هي رمز البطولة والسمو والمنفي الأخير في الحياة .

المنفى هو أيقونة الشعراء وخاصة عند البياتي ، كونه يمثل تجربة إنسانية صعبة ، حتى أصبحَ رمزاً للألم والحنين للوطن، فالغربة تُحمل الشاعر مشقة البعد عن الديار في واقع المنفى المرّ ،كما في النص[2]

في مدن العالم ، في منازلي الشريدة

بها فقأعت أعين اللصوص والضفادع البليدة

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 77 .

[2] - المصدر نفسه ، ص48 .

يستحضر البياتي صورة المنفى المستمر عبر مدن العالم ، بحيث تنتشر بيوته (منازل شريدة) فهي منازل لا يوجد فيها أستقراراً ثابتاً ، بل هي بيوت حل وأرتحال ، والأنتقال منها مكرهاً ليس بأرادته ، فلا يوجد بها مستقراً دائماً ولا ملاذاً آمناً ، وعندما يقول الشاعر(فقأ اعين اللصوص والضفادع البليدة) ، وهي صورة رمزية تحمل دلالات نزاع بين البياتي وخصومه ، فالمنفى ليس أستسلاماً نهائياً ، بل هو أنطلاقة جديد في التصدي للمخبرين والسلطة الغاشمة التي طاردته في بلاده وفي غربته ، فالعين في النص رمزٌ لمحاصرة وملاحقة البياتي حتى في منفاه ، فهي أداة بطش وترهيب في يد اللصوص والضفادع .

فضلاً عما سبق يقدم لنا المقطع الشعري كثير من الرموز والدلالات المكثفة التي تعطي النص عمقاً وزخماً كبيرين حيث يقول : ([1])

مجنوناً أناديك

وفي بيروت أو بغداد أو باريس

عن عينيك عن وجهك في قصائد الشعر وفي واجهة المخازن

عن عينيك عن وجهك في اللوحات والرسوم

مجنوناً أناديك .

يكشف النص عن بناء فني ورمزي أستطاع الشاعر تشييده ، إذ وظف أسلوب التوكيد اللفظي ، حيث كرر (مجنوناً أناديك) مرتين ،(عن عينيك عن وجهك) مرتين ، وهذا التكرار يحمل دلالة متعدد منها : تقوية المعني وجعله يصل إلى المتلقي دون عناء ، وكذلك لترسيخ الفكرة في ذهن المخاطب ، كما يحمل دلالة الانفعال الشعوري الذي يفيض وتعجز الكلمات في التعبير عنه إلا بتكرارها وأعادتها مرة آخرى ، وهذا التكرار يمنح النص جرساً إيقاعياً لصنع موجة صوتية تتناغم مع فكرة القصيدة ومنطلق لدلالات جديدة تسهم في البناء الفني للنص، إذ نجد في النص تداخل بين رمزي العين والمنفى ، فالعين بؤرة الماضي والمنفى بؤرة الفقد ، فالمنفى يجعل الشاعر في توتر دائم ، فالعين رمز الوطن والحضور ، والمنفى رمز التيه السياسي والغياب ، وهذه الصور تكشف تجربة البياتي التي تلاحمت فيها رموز العين والمنفى في الغربة.

وفي السياق ذاته يقول في قصيدة (عيون الكلاب الميتة)([2]).

عبر آلاف السنين

وكائنات لا تُرى بالعينِ

تُلد من جديد

ونحن ما زلنا على صهواتِ خيل الريح

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 289 .

[2] - المصدر نفسه ، ص101 .

يستحضر البياتي حركة الزمن الموغلة في القدم ، حيث كل شيء يولد من جديد ويتغير ويتحول من دون توقف ، إلا الشاعر ومجتمعه مازالوا على صهوات خيل الريح ، فهذه الصورة تكشف عن العجز والوهن والبقاء على كل ما هو قديم لا ينفع ، والتمسك والأهتمام بأمور تافه لا تُغني ولا تسمن ، وهي صورة لوجود معلق للمنفى وغير ثابت في أي مكان ، والعين هنا تأخذ رمز الشاعر في التحول الواقعي مقابل المقدرة الكبيرة للتغير في هذا الكون ، فالمفارقة الكبيرة بين حركية الكون وسكون الشاعر المنفي ، وتتجلى دلالة المنفى (على صهوات الريح) وهي صورة مركبة تعطي معاني كثيرة : عدم الاستقرار ، ومنفى روحي وانقسام عن الزمن الكوني ، فالشاعر عاجز عن التغيير والتجدد في محيط العين العاجزة عن الرؤية .

وفي نص شعري آخر يطالعنا البياتي لصور العناء الدائم ، والبحث المستمر في العيون والمدن ، وركضه المجنون خلف سراب الأماني حيث يقول :([1])

يبحث عنها في كل مكانٍ . كان يراها في كل عيون نساء

المدن الأرضية ، بالأزهار مغطاة وبأوراق الليمون الضارب

للحمرة ، تعدو حافية تحت الأمطار ، تشير إليه:(تعال ورائي)

يركض مجنوماً ، يبكي سنوات المنفى وعذاب البحث

الخائب عنها والترحال

المنفى والاغتراب بكل أنواعه الوجودي والروحي والفكري يتجلى بصور كبيرة في معظم قصائد البياتي ، وإذا كانت المدينة هي التي تمثل الحضارة ، فإن البياتي يأخذ منها موقفاً مريباً ، ولا يستطيع الدارس أن يحدد هوية المدينة أن كانت غربية أو شرقية ، فهي مدينة فقط ، لكنها رمز للتمدن ، ومع ذلك فالبحث ليس دائماً ([2])، فالبياتي كان (يراها في كل عيون نساء المدن الأرضية) في هذا النص تتجلى العين بوصفها نافذة للرؤية والبحث ، فهو يرى ملامحها في جميع عيون النساء ، وبالتالي تكون عيون الحبيبة رمزاً يطارده ، أما أوراق الليمون تمثل العطر الزكي والحياة والماضي بكل ما يحمله من ذكريات سعيدة أو حزينة ، فهي جزء من حياته ، والركض حافية تحت المطر يعطي صور الحرية والبراءة والانطلاق إلى آفاق جديدة وترك الماضي بكل أوجاعه ، حيث يشكل الشاعر في صورة الركض المجنون صور الأنفعال والضياع والشوق الذي لا يحده حدود ، والبكاء يمثل انفجار مكبوت منذ زمن بعيد ، والمنفى لم يكن مكانياً ، بل روحياً وفكرياً ، لذا جاءت العين رامزة إلى عدة رموز منها العين عارضة لعقل الشاعر وأداة بحث وجودي ورمزاً للغياب والحضور ، وقد تكون رمزاً للمدينة أو الوطن .

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 388 .

[2] -ينظر ، المدينة في الشعر المعاصر ، د. علي مختار أبو غالي ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1995م ، ص108 .

تتوالى صور البياتي في هذا النص بنسق يصورة المطاردة المستمرة للشاعر ، والفخاخ الكثيرة التي يضعها حاشية السلطة ، إذ يقول الشاعر:[1]

تتبعني كلابُ صيدِ الموت

ينصب لي الشراكَ بالمجان

مهرجو السلطان

وخدم الخاقان

أخفي جراحي عن عيون العور والأنذال

يوجه البياتي رسالة حادة تتشكل من لغة الرفض والانكار ، فتظهر علاقة البياتي بالسلطة ، فالمنفى هذه المرة يكون داخلياً وخارجياً ، لذا جاء البياتي بصور فنية مكثفة ، وعلى رمزية توكيد على العيون ، لأنها أداة ظهور وكشف ومراقبة ، وصورة الكلاب التي تتبع البياتي ما هي إلا رمز للمخبرين وأجهزة المخابرات والأمن التي تراقب خطوات الشاعر وتعد عليه أنفاسه ، ومهرجو السلطان يمثلون البطانة أو الحاشية التي تؤيد الحاكم بكل أفعاله ، كما جاءت لفظة (العور) لاتخص العين ، بل تخص هؤلاء من الذين فقدوا القدرة على الرؤية الحقيقية ، وجاء رمز العين أداة رصد في أوجه متعددة (الأجهزة القمعية ، المخبرين ، الجواسيس ، الحاسدين ، الأعداء) حيث أصبحت العين سلاحاً موجة نحو البياتي ، إمّا الاغتراب والمنفى ليس موجوداً لفظياً في النص لكنه حاضر بشكل واضح في المقطع .

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث

1- العين عند البياتي تأخذ أشكالاً وصور متعددة ومختلفة ، فالعين ليست عضواً حسياً فقط ، بل هي مجموعة من الرموز تتحول حسب رؤية البياتي وتجربته في الحياة فتتنوع ما بين رموز الخير والشر ، وهذه الرموز تشكل لديه الوجود والفكر الإنساني.

2- أستخدم البياتي رمز العين ووظفه مع تجربته في المنفى والأغترب المكاني والروحي، حيث أستطاع أن يبدع في صنع صور فنية تصل إلى المتلقى بكل سهولة .

3- كانت ثيمة رموزه في العين هو الوطن والحبيبة والحنين إليهما ، وجميع المدن التي زارها وعاش فيها لا تشكل له غير محطات أستراح فيها على أمل العودته إلى حض بلاده .

4- العين منفى وأغتراب حيث تصبح مرآة لتجربته ، وصورة للبحث المستمر عن الحرية والخلاص من أعين السلطات القمعية .

---

[1] - المصدر السابق ، ص169 .

5- شكل رمز العين عند البياتي الحلم الروحي ، وجذور راسخة في الانتماء للوطن وشرارة التغيير والثورة.

المصادروالمراجع

1- الأعمال الشعرية الكاملة ، عبد الوهاب البياتي ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، عمان ، 1995م.

2- المتخيل الشعري أساليب التشكيل ودلالة الرؤية في الشعر العراقي الحديث ، د. محمد صابر عبيد ، منشورات الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق ، بغداد ، ط/1 ، 2000م .

3- المدينة في الشعر المعاصر ، د. علي مختار أبو غالي ، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1995م.

4- دراسات في الأدب العربي الحديث ، عبده بدوي ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط/1 ، 1987م .

5- تجليات القناع الصوفي في الشعر العربي المعاصر بين الفكر والفن ، فؤاد أبو زكي ، بيسان للنشر والتوزيع والأعلام ، ط1 ، لبنان ،2013.

6- لعبة الترميز دراسات في الرموز واللغة والأسطورة ، د. عبد الهادي عبد الرحمن ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، ط/1 ، 2008م.

7- ينابيع الشمس السيرة الشعرية ، عبد الوهاب البياتي ، دار فرقد ، سورية ، ط1 ، 1999م .

Sources and References

1- The Complete Poetic Works of Abd al-Wahhab al-Bayati, Dar al-Faris for Publishing and Distribution, Amman, 1995.

2- The Poetic Imagination: Methods of Formation and the Significance of Vision in Modern Iraqi Poetry, Dr. Muhammad Sabir Ubaid, Publications of the General Union of Writers and Authors in Iraq, Baghdad, 1st Edition, 2000.

3- The City in Contemporary Poetry, Dr. Ali Mukhtar Abu Ghali, Cultural Book Series issued by the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1995.

4- Studies in Modern Arabic Literature, Abdo Badawi, That al-Salasil Publications, Kuwait, 1st Edition, 1987.

5- Manifestations of the Sufi Mask in Contemporary Arabic Poetry: Between Thought and Art, Fouad Abu Zaki, Bissan for Publishing, Distribution and Media, 1st Edition, Lebanon, 2013.

6- The Game of Symbolism: Studies in Symbols, Language and Myth, Dr. Abdul Hadi Abdul Rahman, Arab Diffusion Foundation, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2008.

7- Springs of the Sun: A Poetic Biography, Abdul Wahab Al-Bayati, Dar Farqad, Syria, 1st edition, 1999.